إبراهيم عليه السلام
بين مزاعم التوراة وحقائق القرآن والتاريخ
دراسة نقدية مقارنة

د. علاء صالح هيلات
جامعة قطر – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله على نعمائه وفضله فيما أنعم وفيما تفضل، وتقدست أسماؤه وصفاته، فلا خالق غيره ولا معبود بحق سواه، القادر على كل شيء والمتعظم في كل شيء، واسع الرحمة والمغفرة والموفق إلى كل خير.

وأصلي وأسلم على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وأصلي وأسلم على جده إبراهيم الحنيف، الذي ابتلاه الله بكلمات فأتمهن، وأطاع ما أمره به وحقق ما أراده وأدى أمانته ورفع القواعد من بيته الحرام وكان أمة من الناس قانتاً لله تعالى حنيفا ولم يكن من المشركين.

وبعد

فهناك الكثير من الكتابات عن إبراهيم عليه السلام وعلاقته بالرسالتين الإسلامية واليهودية، نظراً لأن شخصيته تشكل نقطة محورية في هاتين الرسالتين، ولا يمكن فهم جذورهما الدينية والعقدية إلا بفهم شخصية إبراهيم عليه السلام ودورها في نشأتهما وما بني على شخصيته وحياته وتاريخه من مظاهر دينية عقدية وعبادية فيهما، فالقرآن الكريم خلد ذكره في عدد كبير من الآيات

لعلاقة ديانته الحنيفية السمحة بالإسلام وبين أن دعوة محمد ﷺ هي امتداد للحنيفية التي دعا اليها إبراهيم عليه السلام شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم من العراق إلى الشام إلى مصر فجزيرة العرب، وتحدثت التوراة عن إبراهيم عليه السلام في أول سفر من أسفارها، وربطت وجود الشعب الإسرائيلي نفسه بشخصية إبراهيم عليه السلام نسباً وعقيدةً وديناً وتاريخاً وإرثاً مقدساً بامتلاك أرض فلسطين.

وتعددت منهجيات هذه الكتابات في تناولها لشخصية إبراهيم عليه السلام وطريقة هذا التناول ومصادره، فمنها ما درس شخصيته من خلال ما ورد في القرآن الكريم فحسب، مفسرة ومبينة معاني الخطاب القرآني حوله، ومنها ما درس شخصيته من خلال ما ورد في التوراة فحسب، مبينة ومفسرة مدلولات الخطاب التوراتي حوله، ومنها ما كتب عنه من خلال مصادر عدد من الرسالات السماوية والديانات القديمة كالتوراة والتلمود والأناجيل وكتب الصابئة وغيرها كدراسة عباس العقاد في كتابه إبراهيم أبي الأنبياء وهي من خير الكتابات عنه عليه السلام.

ومن الباحثين من كتب عنه من خلال المقارنة بين ما ورد في القرآن وما ورد في التوراة مقارنة نصية لم تتعدَ حدود النص وإبراز أهم الفوارق فيما زاد أو نقص عن حياته وشخصيته في هذا النص أو ذاك، ولم أحظَ بدراسة خاصة تناقش تصور اليهود لشخصية إبراهيم عليه السلام من خلال التوراة وما ترتب على وجوده الأساس فيها من عقائد أصبحت مسلمات ويقينيات في التصور الديني اليهودي عنه وتفند جوانب هذا التصور من خلال ما ورد في القرآن وحقائق التاريخ دون الاقتصار على حدود النص القرآني فحسب.

فاليهود يؤمنون بأن إبراهيم عليه السلام كان عبرانياً ونسبوه إلى جده عابر حفيد سام بن نوح عليه السلام، وزعموا أنه كان يهودياً في الوقت الذي ظهر فيه أول وصف لفئة من أولاد يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام باليهود جاء بعد العصر الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام بقرابة الألف عام وأكثر، ونسب اليهود أنفسهم لإبراهيم عليه السلام وثبتوا هذا النسب في التوراة في أول سفر من أسفاره وهو سفر التكوين.

وقد رد القرآن الكريم على مزاعمهم بحق إبراهيم عليه السلام، وبين أنه لم يكن يهودياً وأن التوراة ما أنزلت إلا بعده، فاهتم المفسرون وعدد من الباحثين بطريقة النفي وأسلوب الخطاب القرآني في هذا النفي دون الاهتمام والتركيز على البعد التاريخي في هذا النفي، وكيف أن اليهودية نشأت بعده بسنوات طويلة، ولم يتطرقوا إلى ما سكت عنه القرآن من تفصيلات حول أصل إبراهيم عليه السلام العربي والمستفاد من خطابه أو ما يمكن استنباطه من خطابه، ولماذا بدأت دعوته للتوحيد في أرض العراق ولم تبدأ بمكة المكرمة أو غيرها، وكيف وصلت أسرته إلى أرض العراق ولماذا، وغيرها من الأسئلة والإشكاليات التي تحتاج إلى إعادة دراسة ونظر توضح حقيقة شخصية إبراهيم عليه السلام وتعيد ترتيب الأوراق الخاصة به.

فوجدت أنه من الأهمية بمكان الكتابة عن إبراهيم عليه السلام بمنهجية مختلفة لا تقف عند حدود الوصف لحياته وشخصيته في مصدر ديني أو عدد من المصادر والبحث في تاريخ العصر الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام والبحث في أصله وموطنه وحقيقة نسبه وحقيقة عبرانيته ويهوديته كما زعم اليهود من خلال حقائق القرآن الكريم وحقائق التاريخ ومحاولة معرفة أهداف اليهود من خلال تصورهم لإبراهيم فيما وضعوه في توراتهم وزوروا كثيرا منه تحقيقا لمقاصدهم الدينية والعقدية وإثباتا لحقوقهم المزعومة.

فآثرت أن أكتب بحثين عن هذا الموضوع الأول يتناول شخصية إبراهيم ونسبه ومولده وموطنه وسبب وجود دعوته في أرض العراق دون غيرها ومناقشة قضية عبرانيته ويهوديته وتفنيدها ورد هذا الادعاء بالأدلة العلمية التاريخية، والثاني يتناول مقاصد هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض العراق بين مزاعم اليهود وحقائق القرآن والتاريخ فأفردت هذا البحث في الجزئية الأولى وسأتم الجزئية الثانية في بحث يتبع هذا البحث بإذن الله تعالى.

وأسعى من خلال هذا البحث للإجابة عن الأسئلة والإشكاليات الآتية:

أولا: هل إبراهيم عليه السلام عبراني كما زعم كتبة التوراة وما هي حقيقة معنى كلمة العبرانيين؟

ثانيا: هل نسبة إبراهيم عليه السلام إلى عابر بن ارفكشاد بن سام بن نوح نسبة صحيحة أم طالها التحريف؟

ثالثا: هل إبراهيم عليه السلام عربي وهل الكلدانيون الذين انتسب لهم علاقة بالآراميين والعرب؟

رابعا: لماذا كان مبتدأ دعوة إبراهيم عليه السلام في أرض العراق بينما أسرته الأولى كانت هاجرت من مكة؟

خامسا: هل إبراهيم عليه السلام كان يهودياً وكان يدين باليهودية وهل يؤكد التاريخ اليهودي هذا الزعم؟

وبناء على ذلك فقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى أربعة مباحث كل مبحث منها يحتوي على إشكالية تحتاج إلى إعادة النظر في حيثياتها من خلال نصوص التوراة وآيات القرآن الكريم وحقائق التاريخ وهي كالآتي:

المبحث الأول: إبراهيم العبراني ومزاعم التوراة

المبحث الثاني: إبراهيم الآرامي العربي وحقائق التاريخ

المبحث الثالث: إبراهيم الكلداني العراقي وأسباب المولد والمنشأ

المبحث الرابع: إبراهيم اليهودي ومزاعم اليهود

الخاتمة وأهم النتائج

المبحث الأول

إبراهيم العبراني ومزاعم التوراة

تزعم التوراة أن إبراهيم عليه السلام كان عبرانيا ينتسب إلى أولاد عابر حفيد سام بن نوح عليه السلام حيث اهتم كتبة التوراة بذكر أولاد سام بن نوح عليه السلام في أول سفر من أسفار التوراة وهو سفر التكوين الذي أرادوا من خلال تدوينه تحقيق مقصدين وهما: تكوين العالم وتكوين جماعة بني إسرائيل، ووصفوه بأنه أبو جميع بني عابر: (**ووُلِدَ لِسامِ أيضًا بَنونَ، وهو أبو جميعِ بَني عابِرَ وأخو يافَثَ الأكبرِ**)[1] وفي ذلك إشارة مباشرة إلى أن المقصود في ذكر أولاد سام التوجه إلى نسب أبناء عابر بشكل خاص دون الاهتمام بنسل باقي أولاده، فذكروا أن سام كان له خمسة أبناء وهم: (**عِيلاَمُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ**) ولم يذكر كتبة السفر أولاد أي من هؤلاء الأبناء إلا أبناء آرام وأبناء أرفكشاد، فذكروا: (**وَأَبْنَاءُ أَرَامَ: عُوصُ، وَحُولُ، وَجَاثَرُ وَمَاشُ. 24 وَأَنْجَبَ أَرْفَكْشَادُ شَالَحَ، وَوَلَدَ شَالَحُ عَابِرَ. 25وَوُلِدَ لِعَابِرَ ابْنَانِ: اسْمُ أَحَدِهِمَا فَالَجُ (وَمَعْنَاهُ انْقِسَامٌ) لأَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ انْقَسَمُوا فِي أَيَّامِهِ. وَاسْمُ أَخِيهِ يَقْطَانُ.**)[2]

ولم يذكروا أولاد عيلام ولا أشور ولا لود، وكان ذلك في الإصحاح العاشر من السفر ثم في الإصحاح الذي بعده أوردوا التفصيل في أولاد ارفكشاد وتوقفوا عن التفصيل في ذكر أبناء آرام بن سام وذكروا أن ارفكشاد كان له عدد من البنين والبنات ولكنهم اقتصروا على ابن واحد منهم وهو شالح وذكروا أيضا ان لشالح بنين وبنات لكنهم اقتصروا على ذكر عابر بن شالح فقط ثم ذكروا من أولاد عابر فالج ومن أولاده ذكروا رعو ومن أولاده ذكروا سروج

(1) سفر التكوين 10: 21.

(2) سفر التكوين 10: 23.

ومن أولاده ذكروا ناحور ومن أولاده ذكروا تارح ثم ذكروا أولاد تارح وهم: أبرام وناحور وهاران.[1]

إن طريقة التدرج في إيراد نسب إبراهيم عليه السلام تدل على الانتقائية الواضحة التي تهدف إلى الوصول إلى نتيجة يريدها كاتب السفر ويريد إبرازها أمام القارئ وهي إثبات أن إبراهيم عليه السلام عبراني الأصل نسبة إلى جده عابر بن سام بن نوح، ولهذا بدأ الحديث عن سلسلة النسب بقوله: (**ووُلِدَ لِسامِ أيضًا بَنونَ، وهو أبو جميعِ بَني عابِرَ وأخو يافَثَ الأكبرِ**) وهذه هي النتيجة المتوخاة وهي أن سام أبو جميع العبريين بالدرجة الأولى وليس الآراميين ولا العيلاميين ولا الآشوريين ولا غيرهم مع أن عابر ليس ابنه المباشر وإنما هو حفيده البعيد (سام – أرفكشاد – شالح – عابر ...) وهذه هي النتيجة الأولى أما الثانية فإن جميع العبريين هم الساميون الذين ينحصر بهم هذا الوصف، والنتيجة الثالثة أن المنهجية الانتقائية من أولاد سام وصولا إلى إبراهيم مرورا بعابر تؤدي إلى نتيجة حتمية وعقيدة متأصلة في العقلية اليهودية وهي أن إبراهيم عليه السلام عبراني وأن جميع العبرانيين ينتسبون لإبراهيم جدهم الذي هاجر من أرض العراق إلى فلسطين ليتملكها ويرثوها منه من بعده ملكاً أبدياً.

ولهذا لم يذكر كتبة سفر التكوين أياً من أبناء أولاد سام الآخرين واقتصروا على ذكر أبناء أرفكشاد ليصلوا في النهاية إلى إبراهيم وليحققوا مقصدهم من إثبات أنهم ينتسبون له وأنه العبري الأول في تاريخهم، ولذلك وصف المصريون يوسف عليه السلام عندما عاش بينهم بالفتى العبراني حسب ما أورده كتبة سفر التكوين فقالوا على لسان زوجة عزيز مصر: (**فَقَصَّتْ عَلَيْهِ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ قَائِلَةً: «دَخَلَ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُرَاوِدَنِي عَنْ نَفْسِي، 18وَحِينَ**

(1) راجع سفر التكوين 10: 10 – 23.

رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَفَرَّ خَارِجاً)،[1] وكان بنو إسرائيل يدعون وهم في مصر بالعبرانيين **(ثُمَّ أَصْدَرَ فِرْعَوْنُ أَمْرَهُ لِجَمِيعِ شَعْبِهِ قَائِلاً: «اطْرَحُوا كُلَّ ابْنٍ (عِبْرَانِيٍّ) يُوْلَدُ فِي النَّهْرِ، أَمَّا الْبَنَاتُ فَاسْتَحْيُوهُنَّ)**،[2]

بينما نجد أن هناك ما يناقض هذه النصوص في سفر التثنية حيث أشار السفر إلى أن إبراهيم عليه السلام آراميا وليس عبرانيا أي أنه من أولاد آرام بن سام بن نوح عليه السلام وليس من أولاد عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بقول الكاتب: (... **ثُمَّ يُعْلِنُ صَاحِبُ التَّقْدِمَةِ قَائِلاً أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ: كَانَ أَبِي أَرَامِيّاً تَائِهاً، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، وَمَعَهُ نَفْرٌ قَلِيلٌ. وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ هُنَاكَ أُمَّةً كَبِيرَةً عَظِيمَةً ...)**[3]

وهذا الأمر يفسر لنا ويوضح تماما السبب من وراء ذكر كتبة سفر التكوين أسماء أولاد آرام بن سام بن نوح وأسماء أولاد ارفكشاد بن سام بن نوح وعدم ذكرهم أسماء أولاد عيلام وأشور ولود أولاد سام بن نوح، فقد تم السكوت عن نسب هؤلاء الثلاثة لأن الكتبة متأكدون من أن إبراهيم لا ينتسب لأولاد أي منهم بينما ذكروا أولاد آرام إجمالا وأولاد ارفكشاد تفصيلا لأنهم يعلمون تماما أن إبراهيم عليه السلام لا ينتسب أبدا لعابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام وإنما ينتسب لآرام بن سام ولكنهم غيروا سلسلة نسبه ونسبوه لأرفكشاد حتى يثبتوا أنه عبراني وأنهم ينتسبون له.

وذلك أن التوراة كتبت بعد عصر سام بن نوح وأبنائه بما يقارب الألفي عام وزياده وكانت قد أطلق عليهم العبرانيين نتيجة لارتحالهم وتنقلهم في منطقة

(1) سفر التكوين 39: 17

(2) سفر الخروج 1: 19

(3) سفر التثنية 26: 5

الشرق الأدنى القديم وهي صفة كان يطلقها أهل الزراعة على أهل البداوة في المنطقة فلما انتقل أبناء إبراهيم عليه السلام وبالذات أبناء اسحق ثم أبناء يعقوب بن اسحق من حياة الزراعة إلى حياة البداوة وصفتهم شعوب المنطقة بالعبرانيين، وقد يكون إبراهيم نفسه وصف بهذا الوصف نتيجة لعبوره البلاد بمواشيه وتنقله وارتحاله من مكان إلى اخر فاراد اليهود إثبات ان قضية العبرانيين هي قضية نسب وليست قضية وصف على الإطلاق وأن إبراهيم سمي عبرانياً لأنه ينتسب إلى عابر بن سام.[1]

وأظن أن الاختلاف الذي وقع بين التوراة والقرآن الكريم في اسم أب سيدنا إبراهيم عليه السلام يوضح وقد يؤكد عملية التحريف التي وقعت في نسب إبراهيم عليه السلام فاعتقد بأن (آزر) الذي ورد ذكره في القرآن هو من نسل آرام بن سام وأنه الأب المساوي لـ (تارح) الذي هو من نسل ارفكشاد بن سام وتم إسقاط آباء آزر من التوراة لتغيير نسب إبراهيم كالاتي:

النسب في التوراة: سام – ارفكشاد – شالح – عابر – فالج – رعو – سروج – ناحور – تارح – إبراهيم

النسب الصحيح: سام – آرام – (عوص أو حول أو جاثر أو ماش) –... – ... –... –آزر – إبراهيم[2]

وإن كل ما أورده علماء التاريخ العرب والمسلمين من ذكر نسب إبراهيم عليه السلام كان نقلا عن التوراة وأحبار اليهود وهذا ما يؤكده ابن خلدون فيقول : (وإسماعيل صلوات الله عليه هو ابن إبراهيم بن آزر وهو تارح وآزر

(1) انظر: اليهود وارض كنعان – تركي الزغبي – ص 60.

(2) مع أن عباس العقاد حاول أن يبين أن الاسمين متشابهان تماما وان الاختلاف فيما بينهما يقع في طريقة نطق بعض القبائل لبعض الحروف وتغايرها بينهم – راجع كتابه إبراهيم أبو الأنبياء.

اسم لصنمه لقب به ابن ناحور بن ساروخ بالخاء أو بالغين ابن عابر أو عنبر بن شالح أو شليخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وهذه الأسماء الأعجمية كلها منقولة من التوراة ولغتها عبرانية ومخارج حروفها في الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية)[1]، بل يؤكد أن هناك بعض الأسماء قد أسقطها اليهود من سلسلة النسب التي أوردوها فقال: (وقال الطبري ان بين شالخ وأرفخشد أبا آخر اسمه قينن وسقط ذكره من التوراة لأنه كان ساحرا وادعى الألوهية)[2]، فاذا كان كتبة التوراة يسقطون بعض الأسماء في سلسلة نسب إبراهيم عليه السلام لأسباب تخصهم فلا غرابة اذا ان يبدلوا اتجاه السلسلة كاملا لتحقيق مقصد مهم يتحول إلى عقيدة راسخة في نفس كل من يقرأ التوراة من اليهود.

ولهذا أطلقوا على أنفسهم وصف العبرانيين ولغتهم العبرية وأصبحت قضية العبرانية هي قضية عقدية داخلة في نظرتهم الدينية لأنفسهم وأصبح هذا الوصف من أقدم الأوصاف التي وصف بها اتباع هذه الديانة أنفسهم ودولتهم ولغتهم، وتاريخيا تعود أصول هذا الوصف إلى فترة طويلة قبل ظهور الوصفين التاليين له وهما الإسرائيليين واليهود، ويشير هذا الوصف إلى عدد من الدلالات التي تخص اتباع هذه الديانة فنجد مصطلح

(الشعب العبري) و (الدولة العبرية) و (اللغة العبرية) وهي حاضرة في الوقت المعاصر، وقد ذهب العلماء والباحثون في محاولتهم إرجاع هذا الوصف إلى أصوله التاريخية إلى عدة آراء وهي:

الرأي الأول : يذهب أصحاب هذا الرأي إلى إعادة أصل هذه التسمية إلى أصل عبري وهو من الكلمة (عبر) وتعني قطع مرحلة من الطريق أو عبر

(1) تاريخ ابن خلدون – ج 2 – ص 33.
(2) نفس المرجع.

الوادي أو النهر، وهذا الأصل موجود في اللغة العربية ويدل على نفس المعنى ويعني العبور أي الانتقال من مكان إلى مكان،[1] وتعود هذه التسمية إلى الألف الثانية قبل الميلاد وكانت تطلق على مجموعة كبيرة من القبائل البدوية في شمال جزيرة العرب وبادية الشام – التي اعتادت الترحال والعبور من مكان إلى مكان – حتى أصبحت مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام، وبهذا المعنى وردت كلمة (الإبري) و (الخبيرو) و (العبيرو) في المصادر المسمارية والفرعونية ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين، ولما وجد اليهود وانتسبوا إلى موسى عليه السلام كانوا هم أنفسهم يقولون عن العبرية أنها لغة كنعان (شفة كنعان) ثم انطوت العبرية الكنعانية في الآرامية التي غلبت على القبائل جميعاً بين فلسطين وسورية والعراق وعندئذ أصبحت كلمة عبري تشمل جميع الآراميين العرب الذين نزحوا من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة العرب قبل أن يكون لليهود وجود.[2]

الرأي الثاني: إن لفظة (عابر) أو (عابيرو) كانت تطلق على كل من يعبر وادي الفرات في شبه جزيرة العرب من البرية إلى قرى الكنعانيين غربا فيعبر مخاوض الماء ومنحدرات السيول الكثيرة والصحارى أفرادا كانوا أم جماعات فإذا تم بصورة جماعية فهو يعني الغزو بالنسبة لأولئك السكان الزراعيين المستقرين في المنطقة الغربية، وإما أن يكون العابرون في شكل أسرة أو بضع أسر

(1) بنو إسرائيل – د محمد بيومي مهران – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ط 1999 -ج 1 – ص 29

(2) انظر: العرب واليهود في التاريخ – د احمد سوسة – العربي للنشر والطباعة – ط 2 – ص 242 – 243.

وانظر: يهودية بلا إله – يعقوب ملكين – ترجمة د. احمد الراوي – دار رؤية – القاهرة – ط 1 2016 – ص 245

ضعيفة فينظر اليهم حينئذ كأضياف أو لاجئين يستحقون الرعاية والاحترام والإكرام والحماية وهذا هو ما حدث لإبراهيم عليه السلام وأسرته، فارتبطت هذه الكلمة بإبراهيم عليه السلام لأنه عبر نهر الفرات مرورا بآرام حتى وصل إلى أرض كنعان، ولهذا يقال أن اسمه «أبرا» أو «إبرام» أو «عبرام» تعني في العربية القديمة «العابر» وقد ظل إبراهيم في التوراة يدعى بهذا الاسم طيلة الفترة التي لم ينجب فيها ولدا فلما ولد له إسماعيل أصبح اسمه «إبراهيم» بصيغة الجمع ويعني العابرين أو بيت العابر.[1]

الرأي الثالث: هناك عدد من الباحثين يذهبون إلى أن كلمة عبري إنما هي نسبة إلى «عابر» أكبر أبناء نوح عليه السلام حيث ورد في التوراة في سفر التكوين أن «بني نوح سام وحام ويافث» وأن «سام أبو كل بني عابر» ولكن لم تظهر هذه التسمية لإبراهيم قبل عبوره نهر الفرات وانتسابه لسام جده الأعلى أولى من انتسابه لـ «عابر» بن سام.[2]

الرأي الذي أرجحه

إن المجتمعات القديمة في الألف الثاني قبل الميلاد وما حولها كانت على نوعين من حيث طبيعة الحياة، إما مجتمعات زراعية مستقرة تنقسم حياة أتباعها بين الحقول وبين بيوتهم الثابتة التي يؤوون اليها، وإما مجتمعات رعوية متنقلة تقوم حياة أتباعها على رعي المواشي والتنقل من مكان إلى آخر حسب طبيعة

(1) – انظر: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود – د احمد داوود – دار المستقبل دمشق – ط 1991 – ص 82 – 85

(2) – انظر « بنو إسرائيل – محمد بيومي مهران – ج 1 –ص 30

– وانظر: اليهود في المصادر المسمارية – د. ابتهال عادل إبراهيم – دار علاء الدين – دمشق – ط 1 2014 – ص 48 – 60.

المراعي وتوافر المياه، ولم يكن لهم أراض يزرعونها فكانوا إما يتنقلون بين القرى والمدن الزراعية ويجاورونها وإما يتنقلون في الصحراء، وكان أصحاب المجتمعات الزراعية يطلقون على كل من ينتسب لحياة التنقل كلمة (عابر) أو (عبيرو) فلما كان إبراهيم عليه السلام ينتمي إلى مجتمع زراعي مستقر في جنوب العراق في كلدان، اضطر إلى الهجرة شمالا باتجاه آرام (سوريا) بعد أن أصبحت حياته مهددة من قبل سكان المنطقة التي كان يعيش فيها فتغيرت طبيعة حياته من حياة الزراعة والاستقرار إلى حياة الرعي وحيث لا أرض له يملكها في المنطقة التي هاجر اليها أصبح يطلق عليه أصحاب تلك المنطقة من المزارعين كلمة (عابر) ثم أصبح أولاده (عابيرو أو عابرين أو عبريين) وهذا ما فعله الكنعانيون الذين كانت حياتهم حياة زراعية مستقرة عندما عاش بينهم إبراهيم عليه السلام وتصور التوراة كيف أن إبراهيم كان له رعاة كثر وكانت مواشيه كثيرة وكيف اتفق مع رئيس المنطقة أن يعطيه قطعة من الأرض ليتمكن من رعي مواشيه فيها وبعد أن ولد له إسحق ومن إسحق ولد يعقوب كانوا كلهم يعملون في رعي المواشي والتنقل من مكان إلى مكان، فقد ورد في التوراة في الحديث عن إخوة يوسف عليه السلام: (**وَانْطَلَقَ إِخْوَتُهُ لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ، 13فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: أَلاَ يَرْعَى إِخْوَتُكَ الْغَنَمَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ لأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ. 14اذْهَبْ وَاطْمَئِنَّ عَلَى إِخْوَتِكَ وَعَلَى الْمَوَاشِي، ثُمَّ عُدْ وَأَخْبِرْنِي عَنْ أَحْوَالِهِمْ، فَمَضَى مِنْ وَادِي حَبْرُونَ حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى شَكِيمَ. 15وَالْتَقَاهُ رَجُلٌ فَوَجَدَهُ تَائِهاً فِي الْحُقُولِ، فَسَأَلَهُ: «عَمَّنْ تَبْحَثُ؟» 16فَأَجَابَهُ: «أَبْحَثُ عَنْ إِخْوَتِي. أَرْجُوكَ أَنْ تُخْبِرَنِي أَيْنَ يَرْعَوْنَ مَوَاشِيَهُمْ؟» 17فَقَالَ الرَّجُلُ: «لَقَدِ انْتَقَلُوا مِنْ هُنَا، وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلَى دُوثَانَ». فَانْطَلَقَ يُوسُفُ فِي إِثْرِ إِخْوَتِهِ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ فِي دُوثَانَ.**)[1]

(1) سفر التكوين 37: 12

ونقل يوسف إلى مصر كانت قسماته وملامحه لا تشبه المصريين وكانت أقرب إلى ملامح أهل العبور أو العابيرو الذين يعيشون حياة بدوية فقد أطلق عليه المصريون لفظ العبراني لأنهم كانوا أصحاب زراعة واستقرار كغيرهم المجتمعات الزراعية وبالتالي فإنهم كانوا أيضا يطلقون على كل من ينتسب إلى حياة التنقل والعبور والبداوة والرعي (عابيرو) فقد ورد في التوراة أيضا في قصة يوسف مع زوجة العزيز: (**فَقَصَّتْ عَلَيْهِ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ قَائِلَةً: «دَخَلَ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُرَاوِدَنِي عَنْ نَفْسِي، 18وَحِينَ رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَفَرَّ خَارِجاً**)،[1] ولما رفع الله شأن يوسف واستقدم أهله من فلسطين أطلق عليهم المصرين اسم العابيرو دلالة على البداوة والتنقل وبعد قرابة ثلاثمائة عام من عيشهم في مصر خرج من أولاد لاوي بن يعقوب موسى عليه السلام وكان المصريون يطلقون على قومه كلهم من أولاد يعقوب عليه السلام اسم العبرانيين أو العابيرو فقد ورد في التوراة: (**ثُمَّ قَالَ مَلِكُ مِصْرَ لِلْقَابِلَتَيْنِ الْعِبْرَانِيَّتَيْنِ الْمَدْعُوَّتَيْنِ شِفْرَةَ وَفُوعَةَ: 16«عِنْدَمَا تُشْرِفَانِ عَلَى تَوْلِيدِ النِّسَاءِ الْعِبْرَانِيَّاتِ رَاقِبَاهُنَّ عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلادَةِ، فَإِنْ كَانَ الْمَوْلُودُ صَبِيّاً فَاقْتُلاهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتاً فاتْرُكَاهَا تَحْيَا. 17غَيْرَ أَنَّ الْقَابِلَتَيْنِ كَانَتَا تَخَافَانِ اللهَ فَلَمْ تُنَفِّذَا أَمْرَ الْمَلِكِ فاسْتَحْيَتَا الأَطْفَالَ الذُّكُورَ. 18فَاسْتَدْعَى مَلِكُ مِصْرَ الْقَابِلَتَيْنِ وَسَأَلَهُمَا: «لِمَاذَا فَعَلْتُمَا هَذَا الأَمْرَ واسْتَحْيَيْتُمَا الأَطْفَالَ الذُّكُورَ؟» 19فَأَجَابَتَاهُ: «إِنَّ النِّسَاءَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لَسْنَ كَالْمِصْرِيَّاتِ، فَإِنَّهُنَّ قَوِيَّاتٌ يَلِدْنَ قَبْلَ وُصُولِ الْقَابِلَةِ إِلَيْهِنَّ». 20وَتَكَاثَرَ الشَّعْبُ وَعَظُمَ جِدّاً. 21وَإِذْ خَافَتِ الْقَابِلَتَانِ اللهَ أَثَابَهُمَا بِنَسْلٍ. 22ثُمَّ أَصْدَرَ فِرْعَوْنُ أَمْرَهُ لِجَمِيعِ شَعْبِهِ قَائِلاً: «اطْرَحُوا كُلَّ ابْنٍ (عِبْرَانِيٍّ) يُوْلَدُ فِي النَّهْرِ، أَمَّا الْبَنَاتُ فَاسْتَحْيُوهُنَّ**)،[2] فأصبحت كلمة العبرانيين في مصر تشير إلى المهاجرين من أولاد يعقوب عليه السلام الذين كانت حياتهم في أصلها حياة

(1) سفر التكوين 39: 17

(2) سفر الخروج 1: 19

رعي وتنقل وعبور ثم أصبحت بعد استقرارهم في مصر تشير إلى الفرق بين العبرانيين وبين المصريين أهل البلد الأصليين وأصحاب الاستقرار والزراعة في أصلهم.

ولما خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر ودخلوا صحراء سيناء وعاشوا فيها لم يستطيعوا التأقلم مع حياة الرعي في الصحراء وحياة التنقل وصعبت عليهم طبيعة الحياة الجديدة بعد أن ألفوا حياة الزراعة في مصر ويحدثنا القرآن الكريم عن اعتراضهم على موسى واشتياقهم لحياة مصر وطبيعتها وطعامها الزراعي فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾،[1] ثم اضطروا إلى التأقلم مع حياة الصحراء والرعي والتنقل في فترة التيه أربعين عاما وعندما دخلوا الأرض المقدسة وكانوا عادوا إلى طبيعة الحياة البدوية عاد سكان منطقة كنعان وما حولها من المزارعين المستقرين بوصفهم بالعابيروا أو العبرانيين مرة أخرى.

فنستنتج أن كلمة عابيرو أو عبراني لا تدل على دين معين أو مذهب معين أو عرق معين وإنما دلالتها تشير إلى طبيعة حياة أي قوم يعيشون حياة التنقل والرعي وهذه التسمية لم تقتصر على بني إسرائيل وإنما تفيد المراجع التاريخية إلى أنه دخلت أقوام كثيرة ضمن هذه التسمية ودخلت فيها جميع الأقوام التي كانت طبيعة حياتها التنقل والعبور من مكان إلى مكان، ولهذا لم ترد هذه التسمية في القرآن الكريم لأنها لا تحمل أية دلالة دينية بينما نجد ورود بني إسرائيل واليهود في القرآن لانهما تسميتان تحملان دلالة دينية.

(1) سورة البقرة الآية 61.

وقد حاول اليهود حصر هذه التسمية ببني إسرائيل ونسبوا أنفسهم ولغتهم ودولتهم اليها حتى يأخذ وجودهم في المنطقة طابعا تاريخيا له أصوله وجذوره التي تعود إلى إبراهيم عليه السلام والأجيال التي انحدر منها، فوصف إبراهيم عليه السلام بالعبراني وصف غير صحيح إذا حمل دلالة دينية وعرقية تخص اليهود وحدهم.

المبحث الثاني

إبراهيم الآرامي العربي وحقائق التاريخ

إذا عدنا إلى القرآن الكريم نجد أن آياته لا تذكر نسب إبراهيم عليه السلام حتى إيرادها لاسم أبيه آزر كان في معرض دعوة إبراهيم لأبيه لاتباع الحق وترك عبادة الأصنام لكنها تربط إبراهيم عليه السلام ربطا قويا بشبه الجزيرة العربية وبمكة تحديدا فهل كان إبراهيم عليه السلام عربيا؟

تشير كثير من الدراسات والأبحاث إلى أن إبراهيم عليه السلام كان عربيا وأن اصله يعود إلى القبائل العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى العراق، حيث تؤكد الدراسات التاريخية والجغرافية أن شبه الجزيرة العربية كانت مهد الساميين الأوائل ويشير علم الآثار إلى أنها كانت تزخر بالمجاري والمصبات المائية التي كانت تساعد على الاستقرار فيها إلا أنه وبعد موجات الجفاف المتتالية التي أصابت هذه المنطقة هاجر عدد من قبائل هذه المنطقة نحو الشمال بما فيهم أسرة إبراهيم عليه السلام باتجاه العراق وسوريا وفلسطين والأردن بحثا عن روافد مائية ونباتية تكفيهم مؤنة حياتهم الرعوية، والى هذا يشير فيلبي في كتابه تاريخ العرب قبيل الإسلام إلى أن المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية بما فيها اليمن كانت هي الموطن الأصلي للشعوب السامية ومنها نزحت طوائف من هذه الشعوب نحو الشمال وأنهم كانوا يتكلمون اللغة العربية

وحملوا معهم كل ما يتعلق بإرثهم الثقافي والديني نحو منطقة الهلال الخصيب.[1]

وتشير الدراسات أيضا إلى أهل منطقة شبه الجزيرة العربية كانوا قبل هجرتهم على اتصال بالسومريين والأكاديين والآشوريين والعموريين في وادي الرافدين وكانوا على اتصال بالكنعانيين في الشام والمصريين والحبشة وعيلام منذ أقدم العصور.[2]

وقد توصلنا إلى أن إبراهيم عليه السلام كان من أولاد آرام بن سام وليس من أولاد ارفكشاد بن سام وهذا الأمر يعني أنه ينتمي إلى الآراميين وهم فرع كبير جدا من أولاد سام بن نوح عليه السلام كانوا يتكونون من عدد كبير من الشعوب تنتشر في منطقة واسعة تمتد من فارس شرقا إلى البحر المتوسط غربا ومن آسيا الصغرى شمالا إلى جنوب شبه جزيرة العرب واليمن جنوبا وأن العرب جميعا هم فرع من الآراميين وكانت كل شعوب هذه المنطقة تتكلم لغة واحدة تسمى اللغة الآرامية وكان لها عدد لا بأس به من اللهجات المحكية ومنها اللغة العربية والسريانية والنبطية وغيرها.[3]

وعندما أورد الطبري حديثه عن أولاد سام بن نوح عليه السلام أشار إلى ان الله تعالى جعل في أولاده النبوة والكتاب فقال: (فنزل بنو سام المجدل سرة الأرض وهو ما بين ساتيدما إلى البحر وما بين اليمن إلى الشام وجعل الله فيهم

(1) انظر -العرب واليهود في التاريخ – د. احمد سوسه – دار العربي للنشر – الطبعة الثانية -ص 111 – 113 - وانظر – الساميون ولغاتهم – د. حسن ظاظا – دار القلم – دمشق – ط 2 – 1990 م – ص 87 – 93.

(2) نفس المرجع -ص 113

(3) نفس المرجع -ص 56 – 58.

النبوة والكتاب والجمال والأدمة والبياض)،[1] وذكر أن مقام سام وولده كان في مكة أولا بما فيهم آرام فقال: (فولد لسام عابر وعليم وأشوذ وأرفخشد ولاوذ وإرم وكان مقامه بمكة)،[2] وقول الطبري أن الله جعل فيهم النبوة والكتاب يؤكد علاقة إبراهيم عليه السلام بهذا النسب وعلاقته بمكة أيضا في أصوله الأولى فإن سام وأولاده بما فيهم آرام جد إبراهيم عليه السلام كان مقامهم في مكة ثم هاجروا إلى جنوب وادي الرافدين في العراق إلى أور الكلدانيين التي هي من أقرب مناطق بلاد العراق إلى شبه الجزيرة العربية.

وإن المقصود في قول الطبري عن أولاد سام أن الله جعل فيهم النبوة والكتاب هم أولاد آرام لأن كل الأنبياء الذين جاؤوا قبل إبراهيم عليه السلام كانوا من أولاد آرام وليس من غيره من نسل سام فثمود الذين بعث الله لهم صالح عليه السلام هم من أولاد جاثر بن آرام، وكذلك عاد قوم هود من أولاد عوص بن آرام، وكل الأنبياء الذين جاؤوا بعد إبراهيم عليه السلام كانوا من نسله.[3]

وإن اسمه يدل على ذلك فكلمة إبراهيم أصلها في التوراة أبرام وهي تتكون من جزئين أب – رام وتعني عند أغلب الباحثين في اللغات السامية القديمة وفي الدراسات التوراتية الآب العالي أو صاحب الشأن العالي على أساس أن كلمة رام تعني العالي أو المرتفع، بينما يمكن أن يشير اسمه إلى المعنى الحرفي الذي يحتويه وهو (أبو الآراميين) على أساس أن آرام تعني جنس الآراميين وذلك لأنه

(1) تاريخ الأمم والملوك -الطبري -دار الكتب العلمية – بيروت -الطبعة الأولى، 1407 – ج 1 – ص128.

(2) نفس المرجع – ج 1 – ص 126.

(3) العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود – د. احمد داوود – دار المستقبل – دمشق – ط 1 – 1991 – ص 63.

كان في زمنه أبرز شخصية في كل المنطقة بين كل شعوب الآراميين القدماء حتى إنه أصبح شيخا أو سيدا معنويا لهم ولا تعني أنه هو سبب مولدهم وإنما هي أبوة معنوية روحية، وهذا ما ذهب اليه كثير من الباحثين فأكدوا على أن كلمة أب هنا لا تعني الأبوة المرتبطة بالنسب وإنما هي الأبوة الروحانية – كما هي في المسيحية –[1] وهي قد تساوي في المعنى كلمة نبي إذا ارتبط بمفهوم ديني ثابت فيجوز أن يصبح معناها (نبي الآراميين).

فالعصر الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام هو عصر عربي قائم بذاته وله مقوماته القومية واللغوية والدينية وهو مرتبط بالجزيرة العربية وبقبائلها وبلغتها الأم، ومع أن إبراهيم عليه السلام استقر في أرض العراق إلا أنه كان على اتصال دائم مع القبائل العربية التي يرتبط بها بصلة القربى والوطن الواحد واللغة الواحدة وكانت له جمال وأغنام واتصالات تجارية مع القبائل التي تسكن البادية المتصلة بالفرات وبوادي الشام والحجاز.[2]

ويذهب عباس العقاد إلى أن إبراهيم عليه السلام كان يتكلم اللغة العربية، ولكن ليست العربية التي نكتبها اليوم أو التي نقرأها في كلام الشعراء الجاهليين ومن عاصرهم من العرب الأقدمين، فلم يكن أحد يتكلم هذه اللغة في عصر إبراهيم ولا في العصور اللاحقة به إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، وإنما اللغة العربية المقصودة هي لغة الأقوام التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية وتهاجر منها واليها في تلك الحقبة، وقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف

(1) شنعار ارض اللاهوت ومدفن الأسرار – د نوري المرادي – دار الحصاد – دمشق – ط 1 2006 – ص 655.

(2) اليهود وارض كنعان – تركي الزغبي – دار رسلان – دمشق – ط 2012 – ص 61.

– وانظر: القران والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان–د. حسن الباش – دار قتيبة – دمشق– ط 2 2013 –ج 1 ص 126

العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء، وقد عرفت تلك اللغة حينها باسم اللغة السريانية خطأً من اليونان في التسمية لأنهم أطلقوا اسم أشورية أو أسورية على الشام الشمالية، فشاعت تسمية العربية باسم السوريانية والسريانية من المكان الذي أقامت فيه بعض قبائل العرب الوافدة من شبه الجزيرة منذ أقدم العصور قبل عصر إبراهيم بزمن طويل، واشتملت هذه اللغة السريانية في بعض الأزمنة على عدة لغات لا تختلف فيما بينها إلا كما اختلفت لهجات القبائل العربية قبل الدعوة الإسلامية.[1] فإبراهيم عليه السلام لم يكن عبرياً ولم يكن يتكلم اللغة العبرية حسب المفهوم اليهودي ولم تكن العبرية في زمن إبراهيم إلا لهجة من اللغة الرسمية السوريانية وكانت لغة خاصة بالقبائل البدوية التي كانت دائمة الترحال في الصحراء من مكان إلى مكان في حدود تلك المنطقة.

المبحث الثالث

إبراهيم الكلداني العراقي وأسباب المولد والمنشأ

تشير التوراة في سفر التكوين إلى أن إبراهيم عليه السلام ولد في أرض العراق في منطقة تدعى أور الكلدانيين وهي عاصمة الدولة الكلدانية التي كانت تقع في المنطقة الجنوبية من أرض العراق، وهي الأرض التي هاجر منها إبراهيم عليه السلام إلى أرض حاران في شمال سوريا بأمر من أبيه تارح ومنها هاجر إلى أرض كنعان بعد وفاة أبيه فيها.

حيث ورد في سفر التكوين (وَهَذَا هُوَ سِجِلُّ مَوَالِيدِ تَارَحَ: وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوَلَدَ هَارَانُ لُوطاً. 28وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مَوْلِدِهِ فِي أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ. 29 وَتَزَوَّجَ كُلٌّ مِنْ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ. وَكَانَ اسْمُ زَوْجَةِ

(1) موسوعة عباس العقاد – كتاب إبراهيم أبو الأنبياء – دار الكتاب العربي – بيروت – ط 1 – 1970 – م 1 – ص 455 – 456.

أَبْرَامَ سَارَايَ، وَاسْمُ زَوْجَةِ نَاحُورَ مِلْكَةَ بِنْتَ هَارَانَ الَّذِي أَنْجَبَ مِلْكَةَ وَيِسْكَةَ. 30وَكَانَتْ سَارَايُ عَاقِراً لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ. 31وَأَخَذَ تَارَحُ ابْنَهُ أَبْرَامَ وَحَفِيدَهُ لُوطاً بْنَ هَارَانَ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ زَوْجَةَ ابْنِهِ أَبْرَامَ، وَارْتَحَلَ بِهِمْ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. 32لَكِنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى حَارَانَ وَاسْتَقَرُّوا فِيهَا. وَهُنَاكَ مَاتَ تَارَحُ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ مِئَتَانِ وَخَمْسُ سِنِينَ.).[1]

في الوقت الذي نجد فيه خلافا بين المؤرخين في تحديد أرض مولده على قولين الأول أنه ولد في العراق لكنهم اختلفوا في الأرض التي ولد فيها داخل العراق، والثاني أنه ولد في حاران نفسها وأنه لم يهاجر إليها من العراق وإنما ولد فيها أصلا،[2] بينما يرجح ابن كثير القول الأول ويذكر أنه الصحيح والمشهور عند أهل السير والتاريخ والأخبار.[3]

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن الكلدانيين هم فرع من الآراميين هاجروا من شبه جزيرة العرب إلى سوريا ومنها إلى مناطق جنوب وادي الرافدين وأنشأوا عددا من المدن فيها، فمدينة أور مسقط رأس إبراهيم عليه السلام موثقة تاريخيا وآركيولوجيا منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد وقد استمر قيامها حتى

(1) سفر التكوين 11: 27

(2) فيتحدث الطبري في تاريخ الأمم والملوك عن هذا الاختلاف فيقول: «واختلفوا في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الأهواز، وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السواد وقال بعضهم كان بالسواد من ناحية كوثي، وقال بعضهم كان مولده بالوركاء بناحية الزوابي وحدود كسكر، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به النمرود من ناحية كوثي، وقال بعضهم كان مولده بحران ثم نقله أبوه إلى أرض بابل»-تاريخ الأمم والملوك – الطبري – ج 1 – ط 1 – دار الكتب العلمية بيروت – ص 142.

- وانظر: سفر التاريخ اليهودي-رجا عبد الحميد عرابي – دار الأوائل – دمشق – ط 1 2004 – ص 58.

(3) ابن كثير – البداية والنهاية – ج 1 ط 1 – دار إحياء التراث العربي – القاهرة – ص 161.

العصر الآشوري والبابلي الجديد (الكلداني) في الألف الأول قبل الميلاد إلا أن وصف نص سفر التكوين لها بأور الكلدانيين يشير إلى أواسط الألف الأول قبل الميلاد عندما أسس الكلدانيون وهم فرع من آرامي سورية الإمبراطورية البابلية الجديدة.[1]

وهذا الأمر يدل على أن قبيلة إبراهيم عليه السلام السامية القديمة كانت تعيش في مكة – كما أسلفنا – فهاجر بعضهم إلى سوريا وبعضهم إلى جنوب العراق – ومنهم أسرة إبراهيم عليه السلام الأولى –وهي من أقرب المناطق إلى شبه الجزيرة العربية نتيجة للقحط والجفاف الذي أصاب المنطقة.

وإذا لم يحدث خلاف بين المؤرخين وبين التوراة في مكان مولد إبراهيم عليه السلام وفق قولهم الأول فإن العبرة ليست في تحديد موطن ولادة إبراهيم عليه السلام بقدر البحث في معرفة المقصد من بعثته في هذا الموطن وهو أرض العراق، حيث لم تذكر التوراة السبب الذي لأجله ولد إبراهيم عليه السلام في أرض العراق، ولم تذكر أي شيء يتعلق بطبيعة حياته وعلاقته بقومه الكلدانيين قبل هجرته من أرضه كما حدث في القرآن الكريم، وانصرفوا إلى الاهتمام بحدث الهجرة بذاتها وكأنها الحدث الأبرز في حياته على العكس تماما فيما يتعلق بالقرآن الكريم حيث اهتم القرآن بالحديث عن حياته بين قومه ودوره في تصحيح عقيدتهم وأشار إلى هجرته في إطار حديثه عن هذا الدور. فلماذا يسكت كتبة التوراة عن هذه القضية المحورية وهي تمدنا بتصور شامل عن شخصية إبراهيم عليه السلام ودوره الحقيقي والأساس في المنطقة كلها؟ وإذا كان الله تعالى منح أرض كنعان لإبراهيم وذريته من بعده من نسل إسحق فلماذا لم يولد في أرض

(1) آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي – فراس السواح– دار علاء الدين– دمشق – ط 1 1995 – ص 47.

كنعان نفسها؟ فيكون له الحق بها بسبب المولد وأصل النشأة بدلا من أن يأتيها مهاجرا ويضطر إلى عقد معاهدات مع رئيس المنطقة حتى يتمكن من أن يستعمل جزءا من أرضها لرعي مواشيه؟

لقد أصابت منطقة شبه الجزيرة العربية قبيل عصر إبراهيم عليه السلام عددا من موجات الجفاف التي أدت إلى نزوح أهل المنطقة نحو الشمال والشرق طلبا وقربا من منابع المياه ووفرة النبات والمرعي مما أدى إلى ضعف الجانب الحضاري في المنطقة العربية بشكل ملحوظ وتبعه أيضا ضعف الجانب الديني حيث تم هجر بيت الله الحرام في مكة وتوقفت عبادة الله تعالى فيه والى هذا يشير القرآن الكريم عند حديثه عن عودة إبراهيم عليه السلام إلى جزيرة العرب والى مكة تحديدا فيقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[1].

في الوقت الذي ازدهرت فيه حضارة وادي الرافدين وأصبحت هذه المنطقة من أقوى الحضارات في منطقة الشرق الأدنى القديم بالتوازي مع الحضارة المصرية الفرعونية، وكانت تضم دولا مؤثرة في المنطقة تتنازع على سيادة المنطقة كلها مع الدولة الفرعونية كآشور وبابل وآكاد وكلدان، ومن قبلها الحضارة السومرية التي ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد والتي طور اتباعها عددا من المعتقدات أثرت في خلفائهم من البابليين والآشوريين والحيثيين والعيلاميين وسكان فلسطين وما حولها من الشعوب التي اعتنقت المعتقدات السومرية، وكان تصورهم الديني الرئيس يتمثل باعتقادهم أن الكون يتسم بالنظام وأن كل

(1) سورة إبراهيم الآيات 35 – 37.

ما يدركه الإنسان فهو انعكاس لتجلي العقل الإلهي ولنشاط خارق للطبيعة وأن الكون يتألف من العناصر الرئيسة التي تمثل السماء والأرض والروح وأن البحر هو السبب الأول الذي انبثق عنه الكون المخلوق وتشكلت فيه الشمس والقمر والكواكب والنجوم وكل يتحرك في طريه الإلهي المرسوم وما يحدث في السماء يحدث على الأرض.[1]

وفي فجر العصر البابلي عام 1900 ق. م العصر الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام كانت قضية تأليه الشمس وباقي الكواكب قد وصلت إلى أوجها وكان معبد الشمس الرئيس يقع في مدينة أور التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام وكان يوصف بأنه القاضي الأكبر أو إله القرارات أو سيد الآلهة،[2] وكان أهل العراق يعبدون عددا من الآلهة التي كانت كلها تجسيدا لمظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم والكواكب وكانوا يعتقدون بتأثيرها الإلهي على الحياة في الكون وعلى حياتهم الإنسانية فكان تفسيرهم لخلق الكون تفسيرا خاطئا ينص على أن الكون هو من أوجد نفسه وكانت فكرة الألوهية عندهم فكرة خاطئة تنص على تأليه الطبيعة ومظاهرها نتيجة لتأثيرها على حياتهم فقد كانوا يألهون الشمس لاعتقادهم أن إله الشمس يجر عربته يوميا ليضيء الكون مبددا بذلك الظلام والشر وعندما تغيب الشمس فإنها تصنع نفس الفعل في العالم السفلي بتخليصه من عناصر الشر.

فبعث الله تعالى لهم إبراهيم عليه السلام ليصحح لهم عقيدتهم وتفسيرهم لسبب وجود الخلق ووجود الإنسان في هذا الوسط المزدحم بعبادة مظاهر

(1) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ترجمة د أمام عبد الفتاح أمام – مجلة عالم المعرفة – العدد 173 ط 1993 –ص12. وانظر: موسوعة تاريخ الأديان – فراس السواح – منشورات دار علاء الدين – دمشق – ط 2 2007 م –ج 2 – ص 164 – 185

(2) نفس المرجع – ص 15.

الطبيعة والاعتقاد بأنها هي الآلهة بحد ذاتها مكملا بذلك الطريق الذي رسمه نوح عليه السلام بعد الطوفان للبشرية في العراق ومجددا للمعتقدات الصحيحة التي أسسها في المنطقة وقد طال عليها الزمن حتى اندرست وتوجه أصحابها لعبادة الطبيعة.

وخير دليل على ذلك ما ورد في القرآن الكريم في حديثه عن دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه وما تضمنته من إشارات صريحة حول تقديس قومه لمظاهر الطبيعة وعباداتها وبالذات الشمس والقمر فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

فهذه الآيات تشير إلى أن إبراهيم عليه السلام كان ينكر على أبيه وعلى قومه عبادتهم للأصنام التي كانت تمثل مظاهر الطبيعة على الأرض بعد أن أراه الله ملكوت السماوات والأرض وجاء التعبير هنا بالملكوت الذي يعني الملك[2] للإشارة إلى أن الله تعالى أوحى لإبراهيم عليه السلام ليدرك حقيقة مالك هذا

(1) سورة الأنعام الآيات 74 – 80.

(2) انظر تفسير الآية ومعنى كلمة ملكوت في تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – الشيخ محمد رشيد بن علي رضا –الهيئة المصرية العامة للكتاب – طبعة 1999 م – ج 7 ص 462.

الكون وخالقه والمؤثر فيه وأن هذه الكواكب والنجوم وأصنامها التي صنعت لها في الأرض لا تملك من أمر الحياة والخلق شيئا.

لهذا قام بمحاجتهم بقضية التغير والتحول التي تطرأ على هذه الكواكب وأن الاله الحق لا يجوز عليه التغير والانتقال من حال إلى حال فالمتغير لا يصلح خالقا للكون ومؤثرا فيه، فحاجهم بالتغير في الشمس وانتقالها من حال إلى حال ثم بالقمر وفي هذا إشارة إلى أن قومه كانوا يعبدون الشمس والقمر ويقدسونهما، وأن قوله ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ يتناسب مع ادعاء قومه بأن البحر أو الشمس أو القمر هي التي خلقت التي الكون وفي وقوله ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ دليل على أن قومه عندما حاجوه وجادلوه ولم يستجب لهم خوفوه بتأثير هذه الكواكب على حياته وقدرتها على إيقاع الضر به لهذا أخبرهم انه لا يخاف منها وأنها غير قادرة على ضره إلا يشاء الله شيئا.

فإن الهدف الأول والمقصد الرئيس الذي لأجله قدر الله أن تكون ولادة إبراهيم عليه السلام في أرض العراق هو تصحيح معتقد أهل تلك الحضارة القوية والمسيطرة ثقافيا ودينيا على الشعوب التي حولها وبالذات منطقة بلاد الشام أو الشرق الأدنى القديم وتصحيح تصورهم للكون والسبب الرئيس في خلقه وخلق الإنسان والمقصد من خلق الإنسان، ودعوتهم إلى هذا المعتقد الصحيح والعمل على إزالة باطلهم.

فلو آمن أهل العراق بكافة شعوبه وحضاراته الأربع في زمن إبراهيم عليه السلام لآمنت من بعدهم شعوب المنطقة كلها وقلدتهم وتبعتهم في معتقدهم الصحيح نتيجة لقوة تأثيرهم الحضاري والديني على شعوب المنطقة كلها فيكون إبراهيم عليه السلام حقق نصرا دينيا كبيرا بأن يبزغ نور الإيمان على منطقة

الشرق كلها من أرض العراق إلا أن الله تعالى لم يقدر ذلك وإنما قدر أمرا اخر عندما اجتهد إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه وكسر أصنامهم فانتقلوا من مرحلة الاستماع اليه ومحاجته ومجادلته إلى مرحلة الترصد به لإيذائه وقتله فأوقدوا له نارا عظيمة والقوه فيها إلا ان الله تعالى نجاه منها فلما أصموا آذانهم واقفلوا قلوبهم عن سماع الحق والاستجابة له وعزموا على قتل الداعي له أمره الله تعالى بترك أرضهم والهجرة إلى أرض أخرى يبزغ منها فجر الإيمان ويعم نوره المنطقة كلها وفيها العوامل الدينية التي تساعد وتهيء لقبول دعوته.

ونجد أن التوراة لا تذكر شيئا لا من قريب ولا من بعيد عن كل هذا وتبدأ حديثها عن حياة إبراهيم عليه السلام ابتداء من حدث الهجرة، وكأن كتبتها حذفوا كل ما يتعلق بحياة إبراهيم قبل هجرته من أرض العراق لعدم اهتمامهم أصلا بمهمة إبراهيم عليه السلام الدينية ووظيفته الدعوية فهو حذف للفكرة والهدف أكثر منه حذف للأحداث، فإبراهيم عليه السلام بالنسبة لهم ليس داعية وإنما صاحب أرض يريد أن ينتقل ليتملك أرضه لا لأن ينقل دعوته إلى الله من مكان إلى مكان لهذا بدأوا بحدث الهجرة دون أن يبينوا حقيقة الأسباب التي ولد لأجلها إبراهيم في ارض العراق، فتصبح الهجرة هنا مقصودا رئيسا لتملك الأرض وسندا ودليلا على أحقيته بها فلوا أردنا ان نجيب على السؤال بمنهجية كتبة التوراة «لماذا ولد إبراهيم في ارض العراق؟» فإن الجواب من خلال منطق كتبة التوراة: لأجل أن يهاجر إلى أرض كنعان وكأن الله تعالى خلقه بعيدا في الأصل حتى يهاجر، فتكون الهجرة دليلا على ملكيته أرض كنعان والا لبقي في الأرض التي ولد فيها.

وإن هذه القضية لتشكل مسألة محورية في فهم حقيقة الفكر الديني العقدي اليهودي فإن تصور اليهود لإبراهيم عليه السلام بأنه صاحب أرض يسعى

لاستعادة ملكيته لأرضه وإحلال هذا التصور في التوراة بدلا من التصور الصحيح بأن إبراهيم عليه السلام نبيا وداع إلى الله تعالى وتوحيده وعبادته ونبذ الأصنام وكل مظاهر الشرك أدى إلى حلول عقيدة الوعد بأرض كنعان مكان عقيدة التوحيد بحد ذاتها واستبدالها بها فنجد أن سفر التكوين لا يتحدث عن ديانة إبراهيم عليه السلام بقدر حديثه عن وعد الرب له بأرض كنعان ولهذا قام كتبة التوراة بحذف ما يتعلق بدعوته قومه للتوحيد لأنه ليس هو الأساس العقدي الذي يريدون أن يبنوا عليه تصورهم لإبراهيم وإنما حل مكانه أساس آخر وهو الوعد بأرض كنعان.

المبحث الرابع

إبراهيم اليهودي ومزاعم اليهود

يعتقد اليهود أن إبراهيم عليه السلام كان عبراني الأصل كلداني المولد يهودي الديانة وقد أشار القرآن الكريم إلى قولهم هذا ونفاه بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٦٩ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[2]

فالقرآن الكريم يثبت اعتقاد اليهودي بيهودية إبراهيم عليه السلام ويثبت خطأ هذا الاعتقاد ويقدم دليلا تاريخيا قطعيا يدل على بطلان هذا الزعم وهو أن التوراة نزلت بعد إبراهيم عليه السلام بفترة طويلة فاذا كان إبراهيم عليه السلام قد عاش في القرن العشرين إلى التاسع عشر قبل الميلاد فإن موسى عليه السلام عاش في القرن الثالث عشر إلى الثاني عشر قبل الميلاد أي بعد عصر إبراهيم عليه السلام بما يزيد على سبعمائة عام، وقد ضاعت هذه التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ولم تتم إعادة كتابتها إلا بعد وفاته بقرابة ثلاثمائة عام ولم

(1) سورة أل عمران – الآية 67.

(2) سورة البقرة – الآية 140.

يوصف موسى عليه السلام بأنه يهودي ولم تنزل عليه اليهودية أبدا ولم يكن يدع لليهودية، فإن هذا الاسم لم يظهر إلا في القرن التاسع قبل الميلاد بعد وفاة سليمان عليه السلام أي بعد عصر إبراهيم عليه السلام بما يزيد الألف عام، ولكن عندما أطلق اليهود على أنفسهم هذا الاسم وأطلقوه على دينهم أرادوا أن يربطوه بإبراهيم عليه السلام في عصر تدوين التوراة المتأخر كثيرا عن عصر إبراهيم عليه السلام، فزعموا أنه اليهودي الأول في الأرض من ناحية الدين والعبراني الأول من ناحية العرق والأصل، حتى أصبح هذا الاسم أكثر أسماء اتباع هذه الديانة شهرة ويحمل دلالة دينية قوية حيث سميت ديانتهم باليهودية نسبة لهذا الاسم، وقد ذهب الباحثون إلى خمسة أقوال في الأصل الذي اشتق منه هذا الاسم وهي:

أولا: قال بعض العلماء هو مشتق من (الهود) أي التوبة والرجوع إلى الحق حين تابوا عن عبادة العجل، والتهود هو التوبة والعمل الصالح، وقيل هاد إذا رجع من خير إلى شر أو من شر إلى خير وهاد إذا عقل وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا أي تابوا، ومال إلى هذا الرأي الشهرستاني.

الثاني: قيل مشتق من (الهوادة) أي السكون والموادعة وقال عرفة «هدنا إليك» أي سكنا إلى أمرك.

الثالث: قال أبو عمر بن العلاء: سمو بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون إن السماوات والأرض تحركت حين أنزل الله على موسى التوراة.

الرابع: قيل مشتق من العبرانية ونقل إلى العربية من العبرانية وكان وهو في العبرانية بذال معجمة في آخره «يهوذا» وهو الابن الرابع من أولاد يعقوب عليه

السلام، فقلبت العرب الذال دالا لأن الأعجمية إذا عربت غيرت من لفظها، فنسب اليهود جملة اليه.[1]

الخامس: ذهب عبد الوهاب المسيري إلى أن الاسم مشتق من الأصل السامي القديم (ودي) الذي يفيد الاعتراف والإقرار والجزاء مثل كلمة (دية) عند العرب وقد اكتسبت هذه المادة معنى الإقرار والاعتراف بالجميل، وقد استوحت ليئه زوجة يعقوب عليه السلام اسم ابنا الرابع من هذا المعنى فقد ورد في سفر التكوين 29: 35 (**وَحَبِلَتْ مَرَّةً رَابِعَةً وَأَنْجَبَتِ ابْناً فَقَالَتْ: «فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ أَحْمَدُ الرَّبَّ». لِذَلِكَ دَعَتْهُ يَهُوذَا (وَمَعْنَاهُ: حَمْدٌ). ثُمَّ تَوَقَّفَتْ عَنِ الْوِلاَدَةِ.**)، فكلمة «يهوه» تعني الرب، وكلمة «دي» تعني الشكر والحمد ومنهما يهودي فيصبح معناها «شكر الرب» أو «حمد الرب» أو «أشكر الرب وأحمده».[2]

وبالتالي قد يكون هذا الاسم مرتبطا ارتباطا وثيقا بالإله الذي عبده اليهود وهو «يهوه أو يهوفاه» فإذا نسبنا عابد هذا الإله إليه نفسه تصبح النسبة «يهووي» أو «يهوفي» فتم إبدال الفاء فيما بعد بالدال فأصبحت «يهودي» وأصبح هذا الاسم يطلق على كل من يعبد الإله يهوفاه أو يهوه.

وإن كنت أميل إلى ترجيح الرأي الرابع الذي يقول بأن أصل هذا الاسم نسبة ليهوذا بن يعقوب عليه السلام وذلك لأن نشأة هذا الاسم تاريخيا مرتبطة ارتباطا وثيقا بعشيرة يهوذا بن يعقوب كما سأبين لاحقا.

(1) بنو إسرائيل واليهود والذين هادوا – دراسة تحليلية – د. احمد معاذ حقي – مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية – المجلد 3 – العدد 1 – فبراير 2006 – ص 10 – 11.

(2) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية– د. عبد الوهاب المسيري– دار الشروق– القاهرة ط 1– 1999–ج 2– ص 304.

التطور التاريخي لاسم «اليهود»

هناك من الباحثين من يرجع بداية استعمال هذا الاسم أيام موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لسببين: الأول: أنهم هادوا وتابوا عن عبادة العجل الذي صنعوه وعبدوه بعد خروجهم إلى صحراء سيناء والثاني: أنهم تابوا عن عبادة الآلهة المصرية التي كانوا يعبدونها في مصر قبل خروجهم مع موسى عليه السلام، وإن كان هذا الرأي فيه وجه اعتبار إلا أن إطلاق الإسرائيليين عليهم زمن موسى عليه السلام وبعده بفترة طويلة كان هو الغالب وبالذات أن الأسفار التي تتحدث عن حياة موسى مع بني إسرائيل لا تذكر اسم اليهود دلالة عليهم أبدا بل تسميهم دائما ببني إسرائيل، وهذا دليل قوي على أن هذا الاسم لم يكن موجودا زمن موسى إلا إنه قد يكون وصفا لحالهم أثناء توبتهم عن عبادة العجل، فيكون اسمهم زمن موسى عليه السلام بني إسرائيل الذين هادوا، فهو وصف لهم أكثر من كونه اسما.

وبقي هذا الاسم يطبق عليهم إلى القرن التاسع قبل الميلاد إلى أن حكمهم سليمان عليه السلام أربعين عاما ثم توفي واختلفوا من بعده اختلافا عظيما وقسموا مملكة سليمان التي تضم القبائل الاثنا عشر من أولاد إسرائيل عليه السلام إلى مملكتين شمالية وجنوبية وضمت الشمالية غالبية أولاد يعقوب عليه السلام وكان عدد الأسباط الذين انضموا إليها عشرة أسباط وسميت مملكة إسرائيل، وضمت المملكة الجنوبية سبطين من أولاد يعقوب وهم سبط يهوذا وهو السبط الأعم والأغلب الذي كون أفراده هذه المملكة وسبط افراييم بن يوسف، وأصبح اسم مملكتهم مملكة يهوذا، وأصبح يطلق على أصحاب المملكة الجنوبية (اليهوذيين) ويطلق على الفرد منهم (يهوذي) وعلى المنطقة كلها التي كانت مملكتهم عليها منطقة اليهوذية، ثم أزيل الإعجام عن حرف الذال نظرا لثقله في النطق مع مرور الزمن فأصبح يطلق عليهم اليهود، وهنا ظهرت لأول

مرة على مسرح التاريخ تسمية اليهود بهذا الاسم فهي تسمية كانت في الأصل سياسية جغرافية عشائرية ولا تحمل دلالة دينية.

إلى أن جاء سرجون الثاني الآشوري عام 721 ق.م وأنهى وجود المملكة الشمالية الإسرائيلية وسبى من بقي من أهلها إلى نينوى عاصمة الآشوريين، وبعد فترة من الزمن ذابت عشائر الأسباط العشرة بين شعوب شمال العراق واختلطت أنسابهم ولم يعد لهم ما يميزهم عن غيرهم من الشعوب فانتهى أمرهم.

وفي عام 586 ق. م جاء القائد البابلي نبوخذ نصر وأنهى وجود المملكة الجنوبية مملكة يهوذا وسبى من بقي من أهلها إلى العراق إلى بابل عاصمة البابليين وبعد سبعين عاما تمكنوا من العودة إلى فلسطين بقيادة عزرا ونحميا وأقاموا في فلسطين من جديد في الوقت الذي لم يعد فيه أي أحد من أعضاء المملكة الشمالية الإسرائيلية، ولم يتبق ممن يحملون ديانة موسى عليه السلام إلا أهل المملكة الجنوبية العائدين الذي كانوا يسمون باليهود فأصبح دينهم الذي يدينون به يدعى اليهودية، وأصبح كل من يتبع هذا الدين يدعى يهودي فأصبحت كلمة يهودي تحمل دلالة دينية قوية وتشير إلى كل من يتبع تعاليم الدين الذي ورثه بنو إسرائيل عن موسى عليه السلام.

يقول عبد الوهاب المسيري: «وكانت الكلمة ذات دلالة جغرافية تاريخية في بادئ الأمر إذ كانت تشير إلى سكان المملكة الجنوبية يهودا وحسب، ولكن دلالتها اتسعت لتشمل اليهود كافة خصوصا بعد انصهار سكان المملكة الشمالية إسرائيل بعد التهجير الآشوري واختفائهم من مسرح التاريخ واستمرار مملكة يهوذا قرنين من الزمان بعدهم. وهكذا أصبحت كلمة يهودي علما على كل من

يعتنق اليهودية في أي زمان ومكان وبغض النظر عن انتمائه العرقي أو الجغرافي.[1]

وهذا الإطلاق جاء بعد عصر إبراهيم عليه السلام بفترة طويلة من الزمن فإذا كان إبراهيم عليه السلام عاش في القرن العشرين قبل الميلاد فإن هذه التسمية أطلقت على أصحاب المملكة الجنوبية من بني إسرائيل في القرن التاسع قبل الميلاد أي بعد عصر إبراهيم بحوالي أحد عشر قرنا، وأطلقت هذه التسمية عليهم بعد عصر موسى عليه السلام بحوالي أربعة قرون.

فلم يكن إبراهيم عليه السلام يهوديا يوماً من الأيام ولكنه كان حنيفاً مسلماً كما ذكر القرآن الكريم وسمي إبراهيم عليه السلام حنيفا لأنه مال عن كل المعتقدات الباطلة التي كانت منتشرة في عصرة إلى الإسلام فأصل الكلمة في العربية حنف وتعني الميل حيث كان المشركون يسمون كل من يميل عن معتقداتهم ويخالفها حنيفا، وذهب بعض المستشرقين إلى أن كلمة حنيف من أصل آرامي، ورجح جواد علي أن كلمة حنيف تساوي كلمة صابئ بالعربية وتعني الخارج عن كلة قومه التارك لعبادتهم وأن لها أصولا لغوية ومعان تعود إلى اللغة الآرامية القديمة.[2]

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – المسيري – ج 2 – ص 304.

(2) انظر: الحنفاء العرب – الدكتور محمد احمد ملكاوي – دار الأمل – ط 1 2011 –ص – 36 – 39.

الخاتمة وأهم النتائج

إن دراسة شخصية إبراهيم عليه السلام ذات أهمية بالغة في دراسة العقيدة اليهودية فهي كالعقدة التي تحتاج إلى فك لفهم ما بني عليها من عقائد في الفكر الديني اليهودي، وإن عناية القرآن الكريم بتفنيد مزاعم اليهود حول شخصية إبراهيم عليه السلام وأصله وديانته خير إشارة إلى هذه الأهمية، وقد توصلت من خلال دراستي لهذا الموضوع إلى النتائج الآتية:

أولا: إن كتبة التوراة حرفوا نسب إبراهيم عليه السلام إلى آرام بن سام بن نوح عليه السلام، ونسبوه إلى ارفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام ليثبتوا أن نسبه يتصل بعابر حفيد ارفكشاد بن سام ليتوصلوا إلى النتيجة التي وضعوها قبل مقدماتها وهي عبرانية إبراهيم عليه السلام لتصبح هذه النسبة سندا تاريخيا لانتسابهم له في اعتبار كتبة التوراة.

ثانيا: إن وصف إبراهيم عليه السلام بالعبراني ليس وصفا عرقيا أو عشائريا في الحقيقة التاريخية يجعل اليهود يستندون اليه لإثبات نسبهم لإبراهيم عليه السلام وإنما هو وصف حالة معيشية وطبيعة حياة لعدد كبير من القبائل التي كانت تتخذ حياة البداوة والانتقال والترحال صفة لها في طريقة عيشها، وإن هذا الوصف جاء من قبل المجتمعات الزراعية للمجتمعات الرعوية ووصف به إبراهيم نتيجة لتغير طبيعة حياته ووصف به غيره ممن لا ينتسبون له فهو ليس وصفا خاصا به حتى ينظر اليه اليهود بنظرة الخصوصية عندما يصفون به انفسهم وهو لا يدل على أي معنا ديني أو ثيولوجي.

ثالثا: إن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا من ناحية دينية بل كان حنيفا مسلما موحدا لله تعالى وإن أصل دعوته هي أصل دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وإن التاريخ اليهودي نفسه يثبت أن أول إطلاق لهذا الوصف على جزء من أولاد يعقوب عليه السلام وهم عشيرة يهوذا الذين شكلوا مملكة وقفت ضد مملكة باقي عشائر أولاد يعقوب عليه السلام كان في وقت متأخر جدا عن الزمن الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام يقدر بقرابة الألف عام وأكثر.

رابعا: إن الأصل الحقيقي لإبراهيم عليه السلام هو الأصل الكلداني الذي ينتسب إلى الأصل الآرامي الذي ينتسب إلى العرب القدماء وإن عشيرته الأولى هاجرت من شبه جزيرة العرب إلى جنوب العراق في الوقت الذي لم يكن قد تأسس فيه أي تصور حول مفهوم العبرانيين أو ظهور ما يسمى باللغة العبرية أو الأصل العبري وكان يتحدث اللغة العربية القديمة في الوقت الذي لم تظهر في اللغة العبرية على ساحة الأحداث في منطقة الشرق كلها.

خامسا: إن دعوة إبراهيم عليه السلام بدأت في أرض العراق نتيجة للقوة الحضارية التي كانت تمتلكها حضارة بلاد وادي الرافدين وتأثيرها على الحضارات المحيطة بها، فكانت قوة الدعوة وأهميتها تتناسب مع قوة المكان وأهميته، فإبراهيم عليه السلام كان داعية إلى توحيد الله تعالى وكان نبيا من الأنبياء وليس أبا لعشيرة تسمى العبرانيين، في الوقت الذي تصور فيه التوراة إبراهيم عليه السلام صاحب أرض أراد الله أن يعيده إلى أرضه التي هي أرض كنعان مع تجاهل أي شيء يتعلق بحياته قبل هجرته إلى أرض كنعان، فحلت عقيدة الوعد بالأرض مكان عقيدة التوحيد في الفكر الديني اليهودي ويعد هذا التحريف من أهم عوامل انحراف الاتجاهات الدينية العقدية في الفكر اليهودي حتى أصبحت عقيدة الوعد بالأرض ذات أهمية اكبر من عقيدة التوحيد بحد ذاتها.

سادسا: إن دراسة حياة إبراهيم عليه السلام وشخصيته ودراسة مهمته الحقيقية في منطقة الشرق القديم وشعوبه هو نقطة البداية لأي باحث يسعى لفهم حقيقة التوجهات اليهودية والتصورات الدينية ومقاصد كتبة التوراة في تأسيس عقائدهم التي تم ربط سندها بشخصية تعد من أهم الشخصيات التاريخية في منطقة الشرق القديم، وإعادتها إلى سياقها الصحيح الذي تؤيده النتائج التاريخية الصحيحة والتي أشار اليها القرآن الكريم في عدد من الآيات التي تحدثت عن إبراهيم عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع

1) السواح، فراس-آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي- دار علاء الدين– دمشق – ط 1 1995.

2) ابن كثير -البداية والنهاية -ط 1 – دار إحياء التراث العربي – القاهرة

3) مهران، محمد بيومي - بنو إسرائيل –دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ط 1999.

4) حقي، احمد معاذ - بنو إسرائيل واليهود والذين هادوا – دراسة تحليلية - مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية – المجلد 3 – العدد 1 – فبراير 2006.

5) الطبري- تاريخ الأمم والملوك -دار الكتب العلمية – بيروت -الطبعة الأولى، 1407.

6) رضا، محمد رشيد بن علي - تفسير المنار -الهيئة المصرية العامة للكتاب – طبعة 1999 م.

7) ملكاوي، محمد احمد عبد القادر - الحنفاء العرب – دار الأمل – ط 1 2011.

8) ظاظا، حسن - الساميون ولغاتهم – دار القلم – دمشق – ط 2 – 1990 م.

9) عرابي، رجا عبد الحميد - سفر التاريخ اليهودي– دار الأوائل – دمشق – ط 1 2004.

10) المرادي، نوري - شنعار أرض اللاهوت ومدفن الأسرار- دار الحصاد – دمشق – ط 1 2006.

11) داوود، أحمد-العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود- دار المستقبل دمشق – ط 1991.

12) سوسه، أحمد - العرب واليهود في التاريخ- دار العربي للنشر – ط 2

13) الباش، حسن - القران والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان- دار قتيبة – دمشق- ط 2 2013.

14) بارندر، جفري - المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة د أمام عبد الفتاح أمام – مجلة عالم المعرفة – العدد 173 – 1993 م.

15) المسيري، عبد الوهاب - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى – 1999 م.

16) السواح، فراس - موسوعة تاريخ الأديان- دار علاء الدين – دمشق – ط 2 2007 م.

17) العقاد، عباس - موسوعة عباس العقاد – كتاب إبراهيم أبو الأنبياء – دار الكتاب العربي – بيروت – ط 1 – 1970 م.

18) عادل إبراهيم، ابتهال - اليهود في المصادر المسمارية- دار علاء الدين – دمشق- ط 1 2014.

19) الزغبي، تركي - اليهود وارض كنعان- دار رسلان – دمشق – ط 2012.

20) ملكين، يعقوب - يهودية بلا إله – ترجمة د. احمد الراوي – دار رؤية – القاهرة – ط 1 2016.